جامعة المنصورة
كلية التربية

بنية الزمن السردي في رواية يوتوبيا

إعداد

عائشة عبد الرحمن الظاهري
باحث دكتوراه- جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

إشراف

أ.د/ حسام الدين سمير
أستاذ مشارك في جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة
العدد ١٢١ – يناير ٢٠٢٣

بنية الزمن السردي في رواية يوتوبيا

عائشة عبد الرحمن الظاهري

مقدمة

[أ]- موضوع الدراسة :

سعت الرواية العربية جاهدة إلى مواكبة تحولات العصر، وحتى يتمكن الروائي من التعبير عن الأحداث وتصويرها إلى القارئ بطريقة جمالية ما عليه سوى اللجوء إلى العنصر العجائبي، الذي يأسر المتلقي ويخلق لديه نوعا من الدهشة، والحيرة، فيسعى جاهدا إلى فك شيفرات النص الروائي، ومن هنا فإنه يساهم في إعادة إنتاجه من خلال منحه دلالات متعددة، وفي الرواية العجائبية يصور الروائي عوالم جديدة تخضع إلى قوانين غير مألوفة، يكشف من خلالها عن خبايا المجتمع، وعن نظام الحكم والأوضاع التي يعيشها الشعب، وقد أولى الروائيون للرواية أهمية بالغة، وذلك لما تحمله من خصوصيات فنية تجعل النص الروائي يتميز عن غيره من النصوص الأخرى، كما ساعدهم هذا العنصر على الخروج من الكتابة النمطية المألوفة.

[ب]- أهداف الدراسة :

يهدف البحث إلى :

١- وصف أبنية الزمان وشواهده في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق.

٢- الوقوف على استقراء وظائف الزمن الروائي في رواية يوتوبيا.

٣- الإشارة إلى تقنيات الزمن المختلفة في رواية يوتوبيا.

[ج]- إشكاليات الدراسة وفرضياتها :

يعتبر "أفلاطون" أول من نظر لدولة يمكن القول عنها جمهورية مثالية، فهو يرى بأن الإنسان يجب غيره من أجل تلبية غاياته وتحقيقها، "فالدولة تنشأ بسبب عدم استقلال الفرد بسد حاجاته بنفسه وافتقاره لمعاونة أن يجتمع مع الآخرين".

وقد عبر الفلاسفة والمفكرون عن الفكر اليوتوبي في أشكال أدبية مختلفة كالقصة والرواية، القصيدة، المقالة، وقد أطلق على الأفكار الغارقة بالمثالية أو التي لا يمكن قبولها أو تطبيقها بالأفكار اليوتوبية.

لذا جاء اختيار هذه الدراسة لنموذج من هذه الروايات وهي رواية يوتوبيا للكاتب المصري أحمد خالد توفيق.

ومن هذا المنطلق نطرح مجموعة من الأسئلة التي ستكون منطلقا لتأسيس بحثنا:

- ما مفهوم اليوتوبيا في رواية أحمد خالد توفيق؟
- كيف ساهم الروائي "أحمد خالد توفيق" في الخروج من المعقول على اللامعقول؟
- كيف جاء الخطاب السردي في رواية يوتوبيا؟
- هل يمكن تصنيف رواية "يوتوبيا" ضمن الروايات الجديدة التي ابتكرت أساليب جديدة في الإبداع الروائي والبنى السردية الحديثة والمعاصرة؟

[د]- منهج الدراسة :

المنهج المعتمد عليه في تحليل هذا النص الروائي هو المنهج الوصفي التحليلي، لرصد تمظهرات العملية السردية بأبعادها المختلفة.

[هـــــ]- حدود الدراسة :

اقتصرت الدراسة الحالية على موضوع : بنية الزمن السردي في رواية يوتوبيا.

[و]- الدراسات السابقة :

من خلال اطلاع الباحثة استطاعت الوقوف على عدد من الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة وقامت بترتيبها من الأحدث إلى الأقدم على النحو التالي:

دراسة لعواس (٢٠٢٢) بعنوان: الواقعي والمتخيل في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة، الجزائر.

ودراسة حسيني (٢٠٢٢) بعنوان: أدب الخيال العلمي الاجتماعي في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ع٦٤.

دراسة محيوص (٢٠٢١) بعنوان: الشخصية في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق : دراسة نفسية، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة جيجل، الجزائر.

دراسة بوسنة (٢٠٢٠) بعنوان: الرواية الفانتازية رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق أنموذجا، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة جيجل، الجزائر.

ودراسة جرموني (٢٠٢٠) بعنوان: الصراع الطبقي في رواية يوتوبيا، كلية الآداب واللغات، جامعة بجاية، الجزائر.

[ز]- خطة الدراسة وإطارها العام :

اقتضت طبيعة الدراسة أن يقع البحث في مقدمة ومدخل نظري تمهيدي ومبحثين تليهما خاتمة. عرضت في المدخل النظري التعريف باليوتوبيا وكذلك التعريف برواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق، على حين تناولت في المبحث الأول الزمن الروائي من حيث تعريفه وتقنياته، والمبحث الثاني مبحث تطبيقي خصصته لدراسة الزمن السردي في رواية يوتوبيا.

وقد جاءت الخاتمة لتبرز جملة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا.

مدخل تمهيدي

أولا: مفهوم اليوتوبيا :

اختلفت دلالات مصطلح اليوتوبيا ففي مفهومها اللغوي[1]:

«تعتبر كلمة يوتوبيا كلمة دخيلة على اللسان العربي واللفظة القريبة من حيث المعنى ومن حيث المبنى كلمة طوبى مصدر بمعنى الطيب أصله طيبي، قلبت الياء واوا لسكونها بعد الضمة وهي أيضا جمع الطيبة بالكسر وهو من نوادر الجموع»

وقد استعملت كلمة "طوبيا" في بعض عناوين الكتب المترجمة مثل: كتاب طوبيا والطوباويين من طرف الأستاذ خليل أحمد خليل لكتاب: (utopie et les utopiste).

أما في السياق القرآني فالكلمة التي تتقاطع في المبنى والمعنى جزئيا مع دلالات يوتوبيا هي كلمة طوبى وقد وردت في القرآن الكريم في قوله عز وجل: **والذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب**

وقد اختلف علماء التفسير في المعنى الذي تحمله الكلمة لأن الدلالات القرآنية مرنة وقابلة للانطباق على السياقات الممكنة، ولكن المعنى الذي اتفق عليه هو المعيشة والحياة السعيدة التي أعدها الله لعباده المخلصين أي الجنة وهي حقيقية، أما اليوتوبيا فهي تصوير إنساني للجنة وهي حلم.

ومن التعاريف اللغوية السابقة يمكن القول أن كلمة "يوتوبيا" كلمة غريبة عن اللسان العربي وما يقابلها في المعاجم اللغوية العربية كلمة "طوبى" والتي تحمل المعنى الأقرب لها وهي تعني الحياة الكريمة والمعيشة السعيدة المثالية المغدقة بالخيرات والنعم.

---

[1] ينظر: يوسف، آمنة، **السرد بين النظرية والتطبيق**، المؤسسة العربية للنشر، الأردن، ٢٠٠٥.

أما من الناحية الاصطلاحية:

يعتقد بعض المتخصصين في الدراسات اليوتوبية أن لفظة "ايتوبيا" ترجمة للكلمة اللاتينية "Nusquama" المشتقة من "Nusquan :lenulle–part" والترجمة الحرفية للمصطلح تشير إلى أن دلالة الكلمة هي "اللامكان" أو "لا مكان له" أو "ما لا أين له"، ومعناها المكان الذي لا وجود له في أي مكان[1].

فاليوتوبيا هي تصور لمكان لا يمكن إدراكه في الواقع، وهي كل ما لا يتصل بالواقع ولا يمكن تحقيقه أي هي ذلك المكان المثالي الرائع الموجود في عالم الخيال والأحلام.

واليوتوبيا اصطلاح ومنحوتة لغوية، بدأت في السياق اللغوي الانجليزي (utopia) اعتمدت فيها اللغة الإغريقية كأرضية اشتقاقية، وهي تركيب بين كلمتين، من كلمة (ou) وتعني (No) أي اللا، وكلمة (topos) التي تعني مكان (place)، والكلمة تعني (No place) وتصبح اليوتوبيا ليست مكانا، أو اللامكان.

انطلاقا من هذا التعريف يمكن القول بأن كلمة يوتوبيا تدل على تصور مكتنز بالمثالية والكمال، وهي فكرة يصعب تطبيقها على أرض الواقع لذلك تبقى معلقة في خيال وأحلام متصوريها بما تحمله من المثالية واللذة العظمى.

وقد ظهرت لفظة اليوتوبيا في الفكر اليوناني القديم: «الكلمة يونانية الأصل، وتدل على ما يوجد في أي مكان ويراد بهاكل فكرة أو نظرية لا تتصل بالواقع أو لا يمكن تحقيقها»

والأتوبيا تطلق أيضا على المثل العليا السياسية والاجتماعية التي يصعب تحقيقها: «تدل عبارة الاتوبيا في الوقت نفسه على نوع أدبي وعلى نوع من السياسة الخيالية، وكذلك على تحقق شكل من التنظيم الاجتماعي غالبا ما يكون إكراها وأحيانا فظا، يفترض أن يجسد فيه مثال يشتهر بأنه جيد بصورة مطلقة»[2]

ويبقى الفكر اليوتوبي هو ذلك الفكر البعيد عن الواقع المعاش الذي يطمح الإنسان إلى تحسيده على أرض الواقع بجميع أبعاده، رغم أنه في نظره لا يزال بعيد المنال.

---

[1] ينظر: أبو السعود، عطيات، **اليوتوبيا**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٧.

[2] ينظر: شاهين، أسماء، **جماليات المكان في الرواية العربية**، دار فارس، عمان، ٢٠٠١.

ثانيا: يوتوبيا أحمد خالد توفيق:

كتب الدكتور أحمد خالد توفيق روايته "يوتوبيا" عام ٢٠٠٨ ولكنه يقدمها على أنها نظرة مستقبلية لما ستؤول إليه مصر عام ٢٠٢٣ حيث تحولت حياة الإنسان في مصر إلى لعبة بيد الأغنياء والمترفين، وأصبحت بذلك قيمة الإنسان في يوتوبيا لا تساوي شيئا؛ لأن مصر تصبح عبارة عن عالمين مختلفين، عالم الأغنياء المسمى "يوتوبيا" الذي يقع في الساحل الشمالي والذي يحرسه حراس المارينز من كل جهة، ولعالمهم قوانين خاصة بهم، وعالم الفقراء المسمى "الأغيار"، وقسم الدكتور أحمد خالد توفيق روايته "يوتوبيا" إلى أجزاء بعنوانين: الأول "الصياد"، والثاني "الفريسة"[١].

إذا كانت أغلب الروايات قد نحت منحى الوصف والتوثيق فكانت صورة المعمار فيها شديدة الإيهام بالواقع، فإن رواية " يوتوبيا لأحمد خالد توفيق، تنشئ منذ العنوان مع القارئ عقدا يصرح بأنها سترسم معمارا افتراضيا زمنه المستقبل أو اللا زمن، لتتنبأ بذلك بما ستكون عليه الحياة وبالاستتباع هندسة الفضاء وهيئة العمارة في المستقبل.

إن" يوتوبيا " رواية مستقبلية انطلاقا من عنوانها وبناء على أن زمن أحداث المغامرة فيها هو سنة ٢٠٢٣، أي بعد عقد ونصف من زمن كتابتها (٢٠٠٨). فكيف سيكون معمارها؟ وهل سيكون المعمار فيها مستقبليا أيضا؟

في الصفحة الرابعة عشر من الرواية نقرأ على لسان علاء: "قال (الجراح الإسرائيلي) لي إن أباه أصيب بجرح في حرب ١٩٧٣ مع المصريين وسألني إن كنت أذكر شيئا عن الموضوع وقلت له إن لي عما توفي في هذه الحرب لكني لا أعرف التفاصيل.. هذه أمور مر عليها خمسون عاما".

تلك إشارة إلى أن زمن أحداث القصة هو سنة ٢٠٢٣. وبناء على أن الرواية نشرت سنة ٢٠٠٨ تكون "يوتوبيا" رواية مستقبلية تستشرف زمن لم يحن بعد وتحكي المحتمل وما قد يحدث بل هي تحكي ما سيقع فعلا. فالكاتب يقول في تصدير الرواية: "يوتوبيا المذكورة هنا موضع تخيلي وكذلك الشخصيات التي تعيش فيها ومن حولها، وإن كان المؤلف يدرك يقينا أن هذا المكان سيكون موجودا عما قريب"[٢].

---

[١] ينظر: فهمي، أحمد، **تقنيات السرد الروائي**، دار ابن رشد، الكويت، ٢٠١٧.

[٢] ينظر: أبو السعود، عطيات، **اليوتوبيا**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٧.

إنها ترسم "الواقع" الذي نحن سائرون إليه على مستوى العلاقات ونمط الحياة ورؤى العالم ووضع المعمار أيضا (شوارع، مبان، أحياء..) لكونه جزءا من المنظومة الثقافية والبيئة الاجتماعية والاقتصادية..

المبحث الأول: بناء الزمن في الرواية

الزمن ظاهرة تحمل دلالات ثرية، قد تكون رمزية أو كونية أو حتى فلسفية ودينية، ، وقد رأى (باشلار) " أن الفلسفة النفسية لم تعد سوى فلسفة زمنية"، وبات الزمن يستوعب الماضي وامتدادات المستقبل، ويستمد زمن الرواية أصالته من كفاية التعبير عن القيم الزمنية وأنماطها وإيصالها للقارئ، وطريقة معالجة السلاسل المتوالية لقيم الزمن، فالرواية تركيبة معقدة من الزمن، وفي معالجة الزمن يكمن جهد الكاتب أو الروائي، وهو جانب يتسم بالصعوبة والسمو، وتكمن الصعوبة في الاستخدام المنهجي للزمن، كونه صعب الاكتساب والتعلم[1].

يكتسي الزمن معاني متعددة ومتباينة، وهو من المفاهيم التي اختلف النقاد في تحديدها والإمساك بها، وقد يتعذر على الدارس أن يقف على دلالات الزمن المتباينة لصعوبة الأمر؛ كون الزمن يأخذ أبعادا في الفكر الفلسفي، وله أبعاد نفسية وعلمية ودينية واجتماعية وغيرها من الأبعاد والأشكال.

ويرى عبد الملك مرتاض أن الزمن مظهر وهمي، يزمن الأحياء والأشياء، فيؤثر فيها، ونعلم أنه موجود في كل مكان ونرى آثاره، ولكن لا نشعر به ولا نراه، فهو كالهواء الذي نتنفسه في كل لحظة في حياتنا.

والرواية فن يقوم على الزمن، ولو صنفت الفنون إلى فنون زمانية ومكانية لوجدنا الرواية والموسيقى أكثر الفنون التصاقا بالزمن، مقابل الرسم والنحت اللذين يعدان فنونا مكانية، إذن الزمن عنصر مميز في النصوص الروائية، وتتابع الأحداث في الرواية تتابع اصطلاحي؛ إذ لا رواية يتطابق توالي أحداثها في النص كما في الواقع، فالكاتب يختار الأحداث وطريقة ترتيبها في النص، فالرواية ليست كيانا ثابت التشكل فهي خطاب الزمان؛ فكما أن الزمان في مختلف تجلياته متغير ومتجدد، فإن الرواية بنية متحولة كذلك[2].

---

[1] ينظر: جمعة، منصور، **زمنية جيرار جينيت**، دار العلم للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠٠٧.

[2] ينظر: فهمي، أحمد، **تقنيات السرد الروائي**، دار ابن رشد، الكويت، ٢٠١٧.

يعد الزمن في الرواية من أبرز العناصر المشكلة لبنيتها؛ فهو يمثل عنصرا أساسيا من عناصر بناء الرواية، ويعد العنصر الفعال في تقنيات السرد الروائي بحيث يمنح الرواية طابع المصداقية، وقد حظي الزمن، ومنذ القدم، باهتمام الفلاسفة والمفكرين؛ لارتباطه الوثيق بالحياة البشرية والوجود، فهو يشتمل على العديد من المفارقات المتعلقة بالإنسان وحياته في الكون فهو "ذلك الموجود الذي يعيش في الزمن"، فمذ وجدت البشرية في الكون؛ وبدأت الحياة تسير وفق مجرياتها، شرع الزمن بممارسة تأثيره على الوجود بكل ما فيه من مخلوقات، وهو ينتقل بين ثلاثة أبعاد بطريقة غير مرئية، بين ما كان موجودا (الزمن الماضي)، وما هو موجود وقائم (الزمن الحاضر)، وما لم يوجد بعد (المستقبل).

ويبدو أن هناك علاقة قوية بين السرد الروائي والزمن؛ فالسرد يعني التتابع الزمني للأحداث أي تمثيل الوقائع، والزمن أعم وأشمل من المكان؛ كونه يتعلق بالناحية الوجدانية، وما فيها من وانطباعات وأفكار، والتي تتأثر بنظام الزمن أكثر من النظام المكاني؛ فالرواية تعد فنا انفعالات زمانيا بامتياز إذا صنفت الفنون حسب عنصري الزمان والمكان.

والزمن في النصوص الأدبية هو زمن الإنسان، ووعيه وخبرته التي يكتسبها وهو يبحث عن معنى الحياة، ويدخل الزمن في نسيج الحياة الإنسانية؛ فالزمن في الأدب هو زمن ذاتي نفسي؛ أي أننا نفكر بالزمن الذي نخبر عنه بصورة حاضرة في أذهاننا بصورة مباشرة، فلا بد لأي عمل فني من بنية تشكل المظهر الحسي الذي يتجلى فيه الموضوع الجمالي، ولا بد له من بنية زمنية تعبر عن الحركة الباطنية ومدلوله الروحي بوصفه عملا إنسانيا[1].

إن أسلوب معالجة الزمن في الرواية هو الذي يحدد طبيعتها وشكلها؛ كون الزمن محور الرواية، ويترتب عليه عناصر مهمة مثل: التشويق والاستمرار والتتابع وإيقاع الأحداث، ويشكل الزمن الأساس الذي تبنى علية هيكلية الرواية.

تتضمن الرواية أزمنة متفاوتة، منها ما يروى بصيغة الماضي لأحداث، تخيله القارئ على أنه صيغة مضارعة لأحداث ماضية، كما يظهر في رواية تيار الوعي، فيكون الماضي في وعي الشخصيات حاضراً، أما الرواية المستقبلية فالأحداث تقع في الماضي النسبي للسارد، وإن

[1] ينظر: جمعة، منصور، **زمنية جيرار جينيت**، دار العلم للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠٠٧.

تكن في مستقبل القارئ؛ لذا نجد أن تخيل المستقبل لا يصل بشكل تام، ونجد العديد من الروايات التي تتنبأ بأحداث مستقبلية يبدأها الكاتب بمشهد معاصر للعودة إليه في رواية الأحداث الروائية[1].

الرواية ليست فنا خالصا؛ إذ لابد لها من موضوع يمس الواقع ويجسده، ويعالج سلوكا أو ظاهرة للأفراد الذين يعيشون في الزمن ويشعرون به، ويخضعون لجميع تقلباته وتغييراته، ولابد أن يكون لدى الكاتب ما يريد قوله للقراء في الرواية، ويأتي من خلال الأحداث ودلالاتها، ويكون الخطاب جيدا ما دام يحمل فكرة جديدة أو مميزة، ولا ينتقص من جودته وقوعه في زمن من الأزمنة الثلاثة، مادام الترابط في الزمن يحيل بعضه إلى بعضه الآخر.

ويأتي الزمن كإطار للرواية، ويشكل محورها الأساسي، وعمودها الفقري الذي يشد أجزاءها، والزمن محور الحياة ونسيجها، وتشكل الرواية فن الحياة، ويعد زمن الرواية هو أول مستوى زمني يجذب اهتمام المتلقي، وهو الزمن الخاص بوقوع الأحداث المروية، ويربط بين هذه الوقائع من ماض وحاضر فمستقبل.

وقد قسم الدراسون الزمن الروائي إلى داخلي ويشمل: (زمن الحكاية، وزمن الكتابة، وزمن القراءة)، وخارجي ويشمل(زمن الكاتب، وزمن القارئ، والزمن التاريخي) ، وسوف نتناول بالدراسة والتحليل الزمن في رواية "يوتوبيا" والذي يمثل حالة الوعي والشعور لدى السارد. زمن القصة يمكن تحديد زمن القصة عن طريق القرائن التي تعين على اكتشاف اشتغال الزمن في الرواية، فكل رواية لها نقطة انطلاق زمنية معينة، سواء أكانت تاريخا محددا أو فترة زمنية معينة، ويرتبط الزمن بالأفعال، ويكون أسلوب عرض الأحداث هو السرد، وهذه القرائن تجعل "الملفوظات الحكائية تتوالى في السرد الروائي"

والقرائن اللفظية في رواية "يوتوبيا" تشير إلى زمن الرواية بشكل غير محدد؛ فأحداث الرواية تدور في فترة مستقبلية ليست ببعيدة وقد تقارب عام (٢٠٢٣)، فقد ذكر الشاب اليوتوبي في حديث له مع الطبيب الإسرائيلي وسؤاله عما إذا كان يعلم شيئا عما حدث في حرب (١٩٧٣)، فيجيب الشاب اليوتوبي: " عمي توفي في هذه الحرب، لكني لا أعرف التفاصيل. هذه أمور مر عليها خمسون عاما" فلو أجرينا عملية حسابية بسيطة بإضافة الخمسين عاما إلى العام (١٩٧٣)؛ لتبين لنا أن العام الذي دار فيه هذا الحديث هو (٢٠٢٣)، وهو ما أشار له الكاتب في التنويه قبل الدخول للرواية، وكذلك الحديث عن أحداث لم تقع، إلا أن

[1] ينظر: يوسف، آمنة، **السرد بين النظرية والتطبيق**، المؤسسة العربية للنشر، الأردن، ٢٠٠٥.

الدراســـات الاقتصـــادية والعلمية تشير إلى أنه من الممكن حدوثها مثل: اكتشاف بديل للبتـــرول وهو" البـــايرول" عـــام (٢٠١٠) والاستغناء عن قناة السويس كممر بحري تجاري وإنشاء قنـــاة إسرائيلية، وانهيار الســـد العالي،، كل هذا صلنا إلى أن أحداث القصة تحدث في خيال الكاتب في فتـــرة زمنيـــة غيـــر محددة من عام (٢٠٢٣) وقد قدم أحداثا يتخيل وقوعها ما بين(٢٠١٠) إلى ٢٠٢٠ ليبرر تشاؤمه مما وصل إليه الشعب المصري من تفاوت طبقـــي صـــارخ مـــن خـــلال الرواية.

زمن الخطاب:

إذا كان زمن القصة يقوم على سرد الأحداث بطريقه الأحداث، تسلسلا كما يراها الـــسارد، وعاده ما يلجأ السرد إلى التوثيق التاريخي في روايته فيجعلها انطلاقة للرواية، فزمن الخطـــــاب غيـــر ثابت وينتقل داخل الرواية بين الحاضر والماضي والمستقبل، ويشكله الـــســـارد حـــســـب رغبتـــ ويرتبه ترتيبا يخالف الواقع لتعدد الشخصيات في الرواية؛ إذ يكون لكل شخصية حياتهـــا الخاصة التي تدفع السارد للإخلال بالتسلسل الزمني وعدم التقيد به، فانتقال السارد فـــي الروايـــة مـــن شخصية إلى التحدث عن حياة شخصية أخرى يجبره علـــى تـــرك التسلـــسل المنطقـــــي للأحـــداث " يقتضي الانتقال من واحدة إلى أخرى وترك الخط الزمني الأول؛ للتعرف إلـــى مـــا تفعله الشخصية الثانية أثناء معايشة الأولى لحياتها".

وفي زمن الخطاب يشكل السارد الزمن كما يشاء وذلك من خلال تحكمـــه بالشخصـــيات حواراتها الداخلية والخارجية " ويبرز لنا زمن الحكاية مدى قدرة السارد على تـــشكيل مـــستويين زمنيين هما: التشكيل الزمني للنص والزمن النفسي للشخصية"[١].

في رواية "يوتوبيا" طوع السارد الزمن وشكله كما يشاء وانتقل من حياة إلى حياة أخرى داخـــــل الرواية؛ فبدأ حديثه عن بطل القصة وهو يستذكر حادثة قتل جنود المارينز لشخص من الأغيار:

"**رأيته وهو يتوقف وقد أنهكه التعب...بفقر الدم والجوع اللذين يفتكان به لا يمكنه أن يخوض هذه المطاردة للنهاية ثم رأيته ينظر للأعلى بينما الهيلوكوبتر تدور حولـــه فـــي تـــؤدة ودون قلق**".

[١] ينظر: جمعة، منصور، **زمنية جيرار جينيت**، دار العلم للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠٠٧.

وبعدها ينتقل السارد ليسرد لنا حياة شخصيات يوتوبيا والترف الذي يعيشونه وقرار بطل القصة الذهاب إلى أرض الأغيار وينتقل عبر الزمن من يوتوبيا إلى (جابر) في أرض الأغيار الذي يتنبأ بموته بعد يومين " **أعرف أنني سأموت بعد يومين فلا تقل العكس**".

ففي زمن الخطاب في الرواية استخدم السارد تقنيات عدة رجع فيها إلى الماضي وتنبأ بالمستقبل، فعندما طلبت نجاة من جابر أن يتزوجها رفض جابر وعلق قائلا: " ما الجديد الذي سنقدمه للعالم سوى البؤس"؛ هنا تنبأ جابر بأن مستقبله لا يحمل سوى الشؤم والبؤس وتنبأ بمستقبل أبنائه بأنهم سيكونون أكثر بؤسا وشقاء.

والمتعمق في دراسة زمن الخطاب لا بد أن يستنتج أن هناك العديد من التقنيات والمفارقات الزمنية التي يستخدمها السارد؛ ليشكل الزمن ويخرج به عن تسلسله التاريخي الواقعي؛ ففي رواية "يوتوبيا" استخدم السارد مفارقات زمنية عدة، وقد كانت الرواية حافلة بتلك المفارقات وسنقف على ثلاث منها ممن كان لها اسهام واضح في إغناء الرواية بالمفارقات الزمنية وبتقنيات الإسراع والإبطاء ثم تكرار الأحداث وتواترها داخل الرواية.

المبحث الثاني: مظاهر الزمن في الرواية

المظهر الأول: الترتيب الزمني:

المظهر الأول: وهو ما يتعلق بكيفية سرد الكاتب للأحداث، فهل سردها مرتبة متسلسلة بانتظام أم أنه أخل بتسلسل الأحداث فاستبق المستقبل أو استذكر الماضي؟[1]

وللترتيب الزمني ثلاث مفارقات تتلاعب في ترتيب أحداث الرواية.

تقنيات المفارقات الزمنية:

تحدث المفارقات الزمنية عادة عند دخول الكاتب في فعل الكتابة، والخروج عن الترتيب الطبيعي لسير الأحداث؛ أكان تقديما أو تأخيرا أو استباقا، ودراسة المفارقات الزمنية يعني البحث في الترتيب الزمني للحكاية ومقارنته بترتيب الأحداث الزمنية في الخطاب بنظام تتابعها في المقاطع الزمنية في السرد ؛ فزمن الخطاب واحد، أما زمن التخييل فمتعدد ومتنوع، ويؤدي عدم تطابق الزمنين إلى انحرافات زمنية، وقد جاءت المفارقات في الرواية على النحو الآتي:

[1] ينظر: جمعة، منصور، **زمنية جيرار جينيت**، دار العلم للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠٠٧.

١. الاسترجاعات (الاستذكارات):

يعد الاسترجاع من أكثر المفارقات الزمنية حضورا في النص الروائي؛ فهو ذاكرة النص، ومن خلاله يتحايل السارد على تتابع الأحداث، فيقطع السرد الحاضر ويستدعي مراحل الماضي ليوظفه في حاضر السرد، و" كل عودة للماضي تشكل استذكارا يقوم به لماضيه الخاص، ويحلينا من خلاله إلى أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة"، ويستدعي الماضي في الحاضر السردي[١].

وكل عودة للماضي تشكل استذكارا، وهو يروي للقارئ " فيما بعد ما وقع من قبل" واستعادة بعض الأحداث التي كانت في الماضي تذكير يخص الشخصيات؛ لتظهر ما كانت عليه في السابق، واعتماد الاستذكار على ذاكرة الشخصيات في الرواية يضع الاستذكار في مجال رؤية الشخصية؛ لذا فإنه يأخذ مذاقا خاصا، ويصبغ صبغة عاطفية خاصة.

ومن الممكن للاستذكارات أن تكون خارجية وذلك بالعودة إلى أحداث ما قبل بداية الرواية، أو داخلية وتكون بالعودة إلى ماض لاحق لبداية الرواية.

ومن الاستذكارات البارزة في الرواية حين يعود الكاتب إلى حدث يرجع زمنه إلى ما قبل بداية الحكاية ، وقد تكون هذه الاستذكارات على شكل ومضات تضيء الفجوات المعتمة من الرواية: مثل استذكار السارد للطبيب اليهودي الذي أجرى له الجرح في جبينه، والذي أخبره أن والده حدث له ذات الجرح في جبينه في الحرب التي دارت بين اليهود والمصريين عام (١٩٩٧)، ومثل هذا الاستذكار يظهر ما كان عليه ماضي الشخصية المتمثلة في الشاب اليوتوبي، الذي لا يملك الماضي ولا يعرف عنه إلا القليل؛ وهذا ما يشير إلى ضياع الهوية العربية، التي طبعت مع الاحتلال الأجنبي؛ حتى أصبح العدو صديقا، وفقد الحاضر بوصلته، فلماذا اختار الطبيب أن يحدث للشاب جرح مشابها لما حدث لوالده في الحرب؟ هي كلمة أراد الكاتب أن يقولها من خلال هذا الاستذكار الذي حدث وانتهى قبل بداية الرواية؛ لينير الطريق للقارئ الذي قد يكون نسي ماضي شعبه.

ومن الاستذكارات أيضا، استذكار السيدة التي رافقت الشابين اليوتوبيين في رحلتهما إلى أرض الأغيار؛ فقد عادت إلى زمن كانت تعمل فيه عند الحمزاوي: " **كنت أعمل عنده وأرادني، أنا قبيحة كالقرد وليس ما يجذب أي رجل، لكنه كان ثملا وقد طلبني، كأن البلغم احتشد في**

[١] ينظر: يوسف، آمنة، **السرد بين النظرية والتطبيق**، المؤسسة العربية للنشر، الأردن، ٢٠٠٥.

حلقه واحتاج إلى مبصقة.."، وتكمل قصتها للشابين " **برغم هذا أنجبت منه.. لا يأتي العالم سوى الطفل الذي لا تريدينه، وتدعين الله أن تزهق أنفاسه.. ابن حرام فعلا.. كنت وحدي ساعة الولادة قطعت الحبل السري بسكين صدئة وجدتها جوار الفراش، ثم رفعت الرضيع من قدميه وتأملته.. كتلة لحم ملوثة بالدم المتخثر.. ابن الحرام يطالب بحقه في الحياة ابن الحرام يطالب بالغذاء والهواء والدفء والحنان... لم يكن هناك ما أفعله له**".

وكذلك جابر تذكر فتياته، يقول: " **أتذكر أشياء وأماكن ووجوها وأبيات شعر وكتبا وروائح لكني في أغلب الأحوال أتذكر النساء..**

كان اسمها عزة لماذا أتذكرها الآن؟

عزة كانت تبيع الخبز على ناصية حارتنا".

ويستطرد جابر في وصف عزة ويذكر الحادثة التي فقد فيها قرنيته على يد السرجاني:

اسمها نجاة.. لها عين تالفة مثلي، كانت بلا عمل سوى أن تسرق أشياء من الباعة.

زوجها تركها لأنه حاول مرارا أن يقنعها بأن (تفتح مخها) لكنها رفضت في إباء".

"**كان اسمها عواطف**

لماذا أتذكرها الآن؟

عواطف كانت ممرضة قبل أن تتوقف رواتبهن، وقبل أن يجدن أنه لا جدوى من العمل".

في هذا الجزء من الرواية يتوقف السارد الثاني جابر ليعود إلى أحداث تظهر ما كانت عليه الفتيات في أرض الأغيار؛ فمنهن من كانت ممرضة وتعمل وتكسب مالا لتعيش حياة كريمة إلى أن توقف دفع الرواتب فانضمت إلى فريق العاطلات عن العمل، ومنهن من كن يعملن عملا حرا كبيع الخبز على ناصية الطريق مثل (عزة)، وأيضا منهن من كن يمتهن السرقة من الباعة مثل: نجاة التي رفضت ممارسة البغاء والتجارة بجسدها كما أراد زوجها.

٢. الاستباقات:

الاستباق هو عملية إيراد الأحداث قبل وقوعها، ويتم ذلك من خلال اعتراض تتابع الأحداث الزمني؛ وذلك حينما يتوقف السارد عن سرد الأحداث الآنية وينتقل إلى سرد أحداث تتعلق بالمستقبل؛ بهدف كسر وتيرة تسلسل الأحداث النمطية التي تنف القارئ وتصيبه بالملل، وللاستباق في النصوص وظائف مختلفة؛ فهو يعد بمثابة تمهيد لما سيأتي من أحداث للحكاية؛ إذ يخلق لدى القراء حالة من التوقع للقادم من الأحداث في الرواية، وكذلك الأمر بما يتعلق بالشخصيات؛ فهي تمثل إعلانا صريحا لما سيأتي لاحقا من أحداث

ومجريات، كما تعمل علـــى دفع القارئ لجعله جزءا فاعلا في تشكيل النص وبنائه، من خـــلال خلق قدر كبير من التشـــويق لديه لمتابعة الأحداث حتى النهاية؛ فالاستباق" عملية سردية تتمثـــل في إيراد حدث أو الإشارة إليه مسبقا"[1].

وهناك نوعان من الاستباق:

استباق داخلي: وهو الاستباق الزمني المحدود بحدود زمن الرواية الداخلي فلا يتجاوزهـــا إلـــى زمن خارجي أو نهاية الحكاية، و" يحدث الاستباق الداخلي في بنية الحكاية من الداخل وهو الذي لا يتجاوز خاتمة الحكاية ولا يخرج من إطارها الزمني"، ويتم ذلك عندما يوقـــف الـــسارد ســـرد أحداث الرواية عند نقطة معينة؛ لينتقل إلى سرد أحداث يتنبأ بحـــدوثها فـــي المـــستقبل، شـــريطة أن تكون تلك الأحداث ضمن الأحداث الرئيسية المحركة لمسار الحكاية، ثـــم يـــضمن السارد وقـــوع ذلك الحدث في الرواية فيما بعد.

ومن أمثلة هذه الاستباقات في الرواية: عندما يتنبأ جابر بأنـــه ســـيموت " **أعـــرف أننـــي سأموت بعد يومين فلا تقل العكس**"، وقد تنبأ جابر بموته غير مرة في الرواية فكان كلما تقدم في الســـرد، أكثر تنبأ بقرب موته: " **قرنيتي الحبيبة..وحلم ما بعد الجنس..أعرف أننـــي ســـأموت الليلة فـــلا تضايقيني من فضلك** "؛ فهنا تنبأ بموته الليلة فكان في كل استباق يقترب من المـــوت أكثر؛ فهو يقرأ الواقع ويتنبأ بما يمكن أن يحدث قريبا.

ومن الاستباقات أيضا عندما يقول بطل الحكاية (لجيرمينال) إن العودة ستكون سهلة بعـــد إنهـــاء صيدهم في أرض الأغيار: "عندما نرغب في العودة سيكون هذا أسهل؛ لأنني سأتـــصـــل بـــأبي طالبا أن يرسل لنا من يعيدنا إلى يوتوبيا "٤؛ فيتصور الشاب اليوتوبي المغامرة، ويـــشعر بسهولة الأمر، فعند إنتهاء مهمته سوف يخبر والدة لإعادته إلى يوتوبيا بـــسهولة ويـــسر، هكـــذا استبق نهاية المغامرة؛ والتي قد تحدث أو لا تحدث، متجاهلًا ما قد يلاقيه من مخاطر وعوائـــق؛ وهذا بســـبب كبريائه وثقته بقوته البدنية وأهميته عند والده، الذي لا يفرط بوريثه الوحيد.

استباق خارجي: وهو الاستباق المتعلق بالزمن خارج الرواية؛ حيث ينتقل السارد مـــن زمـــن الخطاب إلى الزمن الخارجي ومنه ما يتعلق بأحداث يتنبأ بحدوثها في المستقبل لم تحـــدث بعـــد، ولا تكون تلك الأحداث المتوقعة على علاقة بأحداث الرواية الرئيسة، بل ينتقـــل إلـــى

[1] ينظر: فهمي، أحمد، **تقنيات السرد الروائي**، دار ابن رشد، الكويت، ٢٠١٧.

وصف أحداث خارج حدود الرواية، " مجموعة من الحوادث الروائية التي يحكيها السارد بهدف إطلاع المتلقي على ما سيحدث في المستقبل".

وفي الرواية نجد أن جابر استبق حادثة موته عدة مرات؛ فيشير إلى ذلك بقوله: " يوم سأموت، ولسوف أعود لهم في صورة عفريت أو شبح، ولسوف أجعل حياتهم جحيما.. لن يكون أحدهم في مأمن مهما توارى بعيدا عني.."، وهذا ما ذهبت إليه نهاية الرواية؛ فكان جابر سببا في ثورة غضب شباب أرض الأغيار على سكان "يوتوبيا"، قد جعل السارد النهاية مفتوحة على احتمالات عدة؛ فقد تنتهي ثورة الغضب بعدة طلقات من رجال (المارينز)، وقد تستمر لإحداث التغير في المجتمع المصري.

٣. الاستشراف:

أما المفارقة الزمنية الأخيرة في الترتيب الزمني فهي مفارقة شبيهة بالاستباق وهي الاستشراف؛ ونعني بها: كل مقطع روائي يثير أو يسرد أحداثا تسبق حدوثها في الرواية، ويقضي بقلب النظام النمطي للأحداث، عن طريق تقديم متواليات حكائية محل أخرى سابقة عليها في الحدوث[١].

فكل استباق في الرواية ثابت الحدوث ولو بعد حين، أما الاستشراف فيقدم الاحتمالات ويمنح القارئ مزيدا من التشويق والإثارة في انتظار نهاية الأحداث التي لا يعلم نهايتها؛ فنسبة الحدوث وعدمه يصبح نسبيًا، فليس هناك ما يؤكد حصوله، وهذا ما يجعل الاستشراف "شكلاً من أشكال الانتظار.

وفي رواية "يوتيوبيا" نجد الشخصيات تتنبأ بمستقبلها بكثرة؛ فها هو الشاب اليوتوبي يتنبأ بمصيره هو (وجيرمينال): " طلقات في الظلام جثتين هامدتين وحادث مؤسف سوف يتم حل المشكلة في جلسة من جلسات الكبار وينال أبي عدة ملايين على سبيل التعويض".

فالشاب اليوتوبي يتوقع مصيره إذا أمسك به الأغيار في أرضهم (شبرا) وأنه سيلقى حتفه هو و(جيرمينال)، وهذا التنبؤ ليس يقينيا بل هو محض تخمين؛ لأن وقوع القتل ليس أكيدا؛ فالأحداث تخفي في طياتها الكثير، فربما يسارع والده بإنقاذه وهذا احتمال عريض.

وفي موضع آخر من الرواية يتنبأ جابر بمصير أخته (صفية): " لهذا أعرف أن صفية ستتزوج واحدا من هؤلاء لا سبيل للحياة غير هذا "؛ فجابر يتنبأ بزواج صفيه بواحد من

---

[١] ينظر: يوسف، آمنة، **السرد بين النظرية والتطبيق**، المؤسسة العربية للنشر، الأردن، ٢٠٠٥.

أصدقائه، وهذا مجرد تخمين يمكن أن يحدث أو لا يحدث؛ فهو قائم على انتظار الأحداث الجارية في الرواية، وهذا ما أثبتته أحداث الرواية أن استشراف جابر لم يكن صائبا إذ لم تنته الرواية بزواج أخته.

وبعد استعراض هذه النماذج من المفارقات الزمنية من استذكارات واستباقات واستشرافات ومدى أهميتها في النص الروائي وكيف قلبت موازين الزمن وتجعل السارد ينقلنا من زمن إلى آخر داخل النص الروائي، فنقلنا بين الحاضر والمستقبل و عاد بنا إلى الماضي؛ نستنتج مدى أهمية هذه المفارقات في إثراء النص الروائي وجعلت أكثر متعة وتشويقا.

المظهر الثاني: المدة (الديمومة):

مظهر من مظاهر الزمن، ولا يقل أهمية عن الترتيب الزمني هو المدة (الديمومة)؛ فهي الزمن الذي يستغرقه دوام الحدث، فقد تستغرق لحظات في الرواية عدة صفحات، وقد يختصر السارد سنين أو أشهرا في عدة أسطر؛ فالمدة " يطلق عليها مصطلحات متعددة مثل: السرعة، والمدة، والديمومة، والإيقاع، وتيرة السرد، وتعني تلك العلاقة الناتجة عن عرض زمن الأحداث الذي يقاس بالشهور والسنين على زمن النص الذي يقاس بالكلمات والسطور"[1].

وتنقسم الديمومة إلى أربع تقنيات تسهم في تحديد مدة وحجم الرواية؛ فهناك تقنيات تعمل على تسريع السرد، وأخرى تعمل على إبطاء السرد هذه الأشكال الأساسية الأربعة للحركة السردية والتي سنسميها من الآن فصاعداً الحركات السردية الأربعة: وهي الطرفان اللذان ذكرتهما وهما الحذف والوقفة الوصفية، ووسيطان هما المشهد الذي يكون حواريا في أغلب الأحيان وما يسميه النقد في اللغة الإنجليزية (summary) أو المجمل".

وتسهم المدة في تسريع السرد من خلال حذف أحداث أو سنين أو أشهر في بضعة سطور باستخدام تقنيات تسريع السرد وهما: تقنية الحذف والمجمل أو الخلاصة.

تقنية الحذف: وردت ظاهرة الحذف في البلاغة وكانت من الظواهر المؤثرة والمهمة في النص البلاغي؛ فالحذف في البلاغة " إلغاء لكلمة ضرورية لتحقيق الفهم الكامل، ولكن معناها يبقى مقدرا"، أما ظاهرة الحذف في السرد فهي مختلفة تماما؛ ذلك أنها " تجاوز لبعض المراحل من القصة دون الإشارة بشيء لها، ويكتفي عادة بالقول مثلا: (مرت سنتان) أو انقضى (زمن طويل) فعاد البطل من غيبته، ويسمى هذا قطعا".

---

[1] ينظر: جمعة، منصور، **زمنية جيرار جينيت**، دار العلم للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠٠٧.

وللحذف في السرد عدة أقسام: فهناك حذف صريح يكون فيه إشارة واضحة تدل على الحذف يذكر فيها الراوي أن قدرا من السنين مر على الأحداث دون تفصيل"، وهناك حذف ضمني لا يذكر السارد قرينة تدل عليه " وهي التي لا يصرح بها في النص، وإنما يستدل عليها القارئ من خلال ثغرة في التسلسل الزمني أو انحلال في الاستمرارية السردية".

أما النوع الأخير من أنواع الحذف فهو الحذف الافتراضي وهو مثل الحذف الضمني ولا توجد قرينة تدل عليه، ويختلف عن الحذف الضمني؛ " ففيه يصعب تحديد مجال الحذف؛ لعدم ارتباطه بزمن (السفر إلى الخارج) (مرحلة التعليم الجامعي)".

ونجد في رواية (يوتوبيا) العديد من مواضع الحذف، التي أردفها السارد بقرينه تدل عليها؛ ومن ذلك ما جاء في حديث الشاب اليوتوبي مع (إيلي) عن جرح أصيب به والد (إيلي) في حرب (١٩٧٣) مع المصريين: " قلت له إن لي عماً توفي في هذه الحرب لكني لا أعرف التفاصيل هذه أمور مر عليها خمسون عاماً"؛ فهنا صرح السارد بحذف أحداث كثيرة اختصر من خلالها تفاصيل كثيرة، دلت عليها القرينة: " مر عليها خمسون عاماً".

وفي موضع آخر يتحدث الشاب اليوتوبي فيقول: " منذ ثلاثين عاما كان هؤلاء ينالون بعض الحقوق أما اليوم فهم منسيون"؛ و هنا يحذف أحداثا طويلة شهدتها السنين التي مضت ويكتفي بذكر أنها ثلاثون سنة، أما جابر في (شبرا) أرض الأغيار فيذكر حال أخته منذ شهر دون ذكر التفاصيل" وصفية التي لم تذق أكلة محترمة منذ شهر"؛ فالقرينة هنا (منذ شهر).

تقنية الخلاصة / المجمل: وهي تقنية تعمل على اختصار الحدث وذكر خلاصة للأحداث دون إسهاب؛ بهدف تجنب الملل عند القارئ فيسرد، الأحداث بطريقة مختصرة؛ فالمجمل من تقنيات الزمن التي يأخذ فيها زمن القص وقتا يزيد عن زمن الخطاب، ويتخذها الكاتب لتلخيص أحداث كثيرة قد تكون حدثت خلال سنوات، وغالبا ما تكون عابرة لا تشكل أهمية كبيرة ف الرواية.

وللخلاصة نوعان هما: الإيجاز القريب الذي يختصر زمنا قصيراً كيوم أو يومين، والإيجاز البعيد الذي يختصر زمناً بعيداً كسنة أو سنتين أو أكثر.

ومن الأمثلة على الخلاصة في رواية "يوتوبيا": عندما يتحدث جابر عن جهدهم الذي بذلوه في صيد الكلب: "بعد كل هذا الجهد يضيع منا الكلب الذي ظللنا ننصب له الكمائن ثلاثة أيام ". أما جابر وذكرياته مع الممرضة عواطف فقد سرد لنا تلك الذكريات قبل سنين في سطور "عواطف كانت ممرضة قبل أن تتوقف رواتبهن وقبل أن يجدن أنه لا جدوى من

العمـــل. أكثرهن عملن كطبيبات يعالجن مقابل مال زهيد. ما كن يعالجن به هو خلـيـط مـــن الأعشـــاب والعسل والوصفات البلدية وأحيانا بعض الأدوية التي يروجهـا سـكان يوتوبيـا ولا يستعملونها أبدا"؛ فهنا سرد لنا جابر ملخصا لحياة عواطف في سطور، ولـم يـدخل فـــــي التفاصيل غيـر المهمة.

وفي الموضع نفسه يستذكر علاقته مع عواطف ويوجزها أيضا في سطور: "**(عواطـف) تضحك. (عواطف) تهتز.. (عواطف) تقطب.. (عواطف) تغمـــز.. (عواطـــف) تنتـشـي.. (عواطـف) تتشاجر.. (عواطف) تتلـوى.. (عواطـف) تهمـس.. (عواطـــف) تبتـسـم.. (عواطـف) تفكـر.. (عواطف) تعالج عيني.. (عواطف) تقول إنها تحب الرجل الذي يتـشاجر ويفقد عينه من أجـل امرأة).**

فجابر لم يذكر تفاصيل حياته مع عواطف وروتينهم اليومي ولقاءاتهم؛ فلـو سـرد علينـا التفاصيل لاحتاج لصفحات طويلة مملة تشتت ذهن القارئ وتنـزاح بـه عـن أحـداث القـصة الأساسية، لكـن السارد تنبه إلى ذلك؛ فاختصر الأحداث في خلاصة، ثم ترك للقـارئ مـساحة للتفكر والخيال، قبل أن يعود ليقص علينا حكاية أبطال الرواية.

وبناء على هذا نستنتج أهمية تقنيتي: الحذف والخلاصة؛ فهما يبعدان الملل عـن القـارئ الذي كان يمكن أن يدخل في قراءات أحداث لا حاجة لذكرها؛ فتسريع السرد عند الوقوف علـى قصـص لشخصيات ثانوية في الرواية يساهم في عدم تشتيت القارئ عن القصة الأساسية وعـن أبطـال الرواية، ويسهم التسريع في التركيز على حدث رئيس وعدم الدخول في أحـداث غيـر مهمة.

أما الجانب الآخر الذي تعمل تقنيات المدة على تحقيقه هو إبطاء السرد؛ وهو ذلك العنصر الذي يقوم على تفصيل الأحداث والدخول في حوارات بين الشخصيات أو وصـف لحظـات فـي صفحات على عكس الإسراع، والذي يختصر سنين في سطور، ولعمليـة إبطـاء الـسرد تقنيتـان" المشهد والوقفة؛ حيث يقوم مقطع طويل من الخطاب بتغطية فترة زمنية ضـئيلة مـن القصة،

إن إبطاء السرد يترتب عليه إيقاف أو تعليق زمن القصة، وفي المقابل تمديـد الخطـاب المكان، وبالتالي تعطيل القصة؛ يؤدي إلى تمديد الخطاب وتعليق حركة الزمن إلى حين انتهـاء المشهد أو الوقفة، ثم يستعيد السرد بعدهما حركته الطبيعية".

تقنية المشهد: وهي تقنية تقوم على سرد الحوار القائم بين الشخصيات أو الحوار داخل الشخصية نفسها؛ فالمشهد يمثل تبادل الكلام شفاهيا، وهذا يفرض على الكاتب أن ينقل كلام شخصيات الرواية المشاركة في الحوار أو المشهد بحرفيته دون تغير أو تدخل من قبل السارد، وهنا يتيح السارد للشخصيات أن تتولى مهمة السرد؛ لتعبر من خلاله عما يجول في خواطرها من مشاعر وأحاسيس، وعما يدور في عقلها من أفكار ومعتقدات، ويكون الكلام المتبادل في الحوار على عدة أشكال: منها الحوار المباشر (المسرحي) والاتصال والمناظرة وغيرها وفيه يكون زمن الحوار مطابقا لزمن الخطاب[1].

ولتقنية المشهد دورا مهم في السرد؛ حيث تعمل على إبراز تطور الحدث، والكشف عن الشخصيات ووجهات نظرها المتباينة من خلال الحوار، وتكسر هذه التقنية رتابة السرد بطريقة حيوية؛ مما يوهم القارئ بحاضر الرواية .

وفي رواية" يوتوبيا" نجد الكثير من الحوارات بين الشخصيات، التي تعطي القارئ انطباعا عن صفات أبطال الرواية، فها هو الشاب اليوتوبي يحاور سالم بيك ويناقشه حول جدوى الكتب والقراءة، " **قال لي سالم بيك:**

- أنت تقرأ كثيراً.. أنت مجنون

قلت له إن القراءة بالنسبة لي نوع رخيص من المخدرات لا أفعل بها شيئاً سوى الغياب عن الوعي. في الماضي_تصور هذا_ كانوا يقرأون من أجل اكتساب الوعي صدقني يا بني.. لا شيء في هذه الكتب يهم.. أنا أقتنيها لأنها تجعل منظر المكتب أنيقاً، لكن الحياة هي المعلم الوحيد لك".

وفي بداية الرواية، حدث حوار بين الشاب اليوتوبي وأمه (لارين)عندما أخبرها برغبته بالذهاب للصيد في أرض الأغيار (شبرا):

" بلا مقدمات قلت لها:

"أنا راغب في تجربة الصيد.

شهقت..

قالت في ذعر وقد اتسعت عيناها:

هل ينقصك شيء؟.. معك من المال ما يكفي لتشتري يوتوبيا كلها.."

---

[1] ينظر: يوسف، آمنة، **السرد بين النظرية والتطبيق**، المؤسسة العربية للنشر، الأردن، ٢٠٠٥.

"وما حولها.."

"لديك من الفتيات ما يشبع شهوات سلطان فحل من سلاطين ألف ليلة وليلة.."

"والفتيان أيضا"

"لديك من وسائل التسلية ما يسري عن جيش من اليتامى الباكين"

"وأحفادهم كذلك"

"إذن ما المشكلة؟"

"المشكلة في هذا كله..لدي كل شيء..حان وقت الشيء الوحيد الذي لم أجربه ولم أظفر به"

قالت في هستيريا:

"لو عدت للكلام في هذا الموضوع سأخبر أباك"

(مراد) ليس هنا إنه في سويسرا يراجع أرقام حساباته هذا نشاط محمود على كل حال لأن هذا

يعني أنه سيضاعف ما أنفقه على الفلوجستين أحيانا أتمنى ألا يضيع وقته ويرسل لنا النقود

من الخارج..

قلت لها في تحد: (مراد) لا يتدخل في شؤوني.. هو أذكى من هذا.."

قالت وهي تلوح بإصبعها في وجهي:

" للمرة الألف اسمه بالنسبة لك (بابا) وليس (مراد) أنا أسمح لك أن تناديني باسمي بدلاً من

كلمة (ماما) لكي أحتفظ بصداقتك. وأنا لن أسمح لك بهذا..".

ففي هذا الحوار بين مدى شرخ العلاقة الأسرية بين الآباء والأبناء، وكشفت عن علاقة البطل بأمه وأبيه؛ فهو لا يكن لهم أهمية في أسلوب حياته، فكل منهم مشغول عن الآخر بأمور شخصية، الأب يزيد من ثروته، ويهمل الزوجة والابن، والأم تشغل نفسها بالتسوق، وإن كان معظم ما تشتريه لا يلزمها، و الابن مشغول بصرف الاموال على المخدرات وسهرات المجون، ولهذا استخدم السارد تقنية المشهد القائمة على الحوار بين الشخصيات؛ ليبين للقارئ علاقة الشخصيات ببعضها، ولإيضاح طبيعة الحياة الأسرية في "يوتوبيا".

وهذه الأمثلة عبارة عن حوارات خارجية تكون بين الشخصيات، وهناك حوارات داخليـــة تـــدور بين الشخص وذاته المنشطرة بداخلة× فيتحدث فيها البطل مع نفسه، ومن هذه الحـــوارات فـــي الرواية، حوار جابر مع نفسه عندما قرر اغتصاب (جيرمينال):

"**لا استطيع ولا أرغب..**

ماذا دهاك؟.. هل سلطة يوتوبيا عليك مطلقة إلى هذا الحد

هل صارت يوتوبيا تسيطر على هرموناتك وغدتك النخامية وغـدتك الكظريـــة ونـــسيجك الكهفـــي وجهازك السبمثاوي؟.. هل إلى هذا الحد تغلغلت فيك؟

أهي سيطرة يوتوبيا، أم هي سلطة ضمير كاسحة تجعلك ترى كل فتاة هـــشة معدومـــــة الحيلـــة كأنها صفية أخرى؟

لن تعرف.. لن تعرف أبداً..

فقط أنت موقن من شيء واحد: فلتنم في سلام، ولتعد أنت إلى المذبح لتواصـــل انتـــزاع أحشـــاء الدجاج".

في هذا المقطع ظهر صراع جال في نفس جابر ومنعه من اغتصاب (جيرمينـــال)، فهـــذا الموقف لحظة قرر فيها جابر عدم اغتصاب الفتاة، ولكن السارد فصل الحدث وبين الصراع الذي مرت به الشخصية؛ فجابر مازال يحتفظ ببعض إنسانيته، فلم يجد في (جيرمينـــال) إلا صـــــورة أختـــه صفية؛ لذا نازعته –خلال الحدث– أفكار متضاربة عصفت في ذهنه؛ لتشكل حوارا داخليا لدى جابر.

ومن خلال هذه الأمثلة. نستنتج أثر تقنية المشهد في جعل زمن الخطاب أطـــــول مـــــن الـــزمن الواقعي للحدث، ومن الوظائف التي يؤديها المشهد إطـــلاع القـــارئ علـــى تفاصـــــل تخـــص الشخصيات لم يذكرها السارد أثناء السرد.

تقنية الوقفة: تعمل الوقفة على إبطاء السرد من خلال الوقوف لوصف الأشياء بإســـهاب، وتعمل على كشف ما يختلج داخل الشخصيات، فتقف لوصف مشاعر الشخصيات وانطباعاتهـــا؛ فالوقفة "تقنية زمنية تعمل على الإبطاء المفرط لحركة السرد في بنية الرواية التقليدية، إلى الحـــد الـــذي يبدو معه كأن السرد قد توقف عن التنامي"[1].

[1] ينظر: فهمي، أحمد، **تقنيات السرد الروائي**، دار ابن رشد، الكويت، ٢٠١٧.

ويتم التمييز "بين نوعين من الوقفة وقفة ذاتية تتأمل من خلالها الشخصية ما يقابلها كاشفة مشاعرها وانطباعاتها، ووقفة موضوعية تصف مقدمة معلومات جديدة عن موضوع الوصف تؤدي دوراً فنياً تزينيا، تتم الأولى داخل زمن القصة يتأمل فيها البطل مشهداً ما والثانية خارج زمن القصة ذات وظيفة تزينية تكون بمثابة استراحة".

ومن أهم الوقفات في الرواية التي وقف السارد عندها لوصفها غير مرة؛ فوصف الفلوجستين: " **انتظر حتى ترى الوهج الأخضر يتراقص... قطر كل روائح الكون.. قطر عبق السراخس في المستنقعات التي خطت فيها الديناصورات منذ ملايين السنين.. قطر رائحة عرق كليوباترا ودماء يوليوس قيصر.. قطر البخور الذي أشعله الدراويش في ليالي القاهرة الفاطمية.. قطر النيران التي التهمت القاهرة فيما حكوا لنا، وقطر عبق كل غانيات باريس راقصات الكان كان.. قطر كل روائح حيتان العنبر وكل أنفاس النمور الآسيوية التي تتسلل في ظلام الأحراش.. قطر الأحراش ذاتها.. قطر الروائح الباريسية والنرجس والليلاك والزنابق.. قطر كل هذه الروائح معاً.. ثم ماذا. نسيت**".

ويتوقف السارد مرة أخرى في مكان آخر؛ وكأنه يأخذ القارئ في جولة خارج السرد ويأخذه من زمن السرد إلى مكان وزمان آخرين، لهذا تعد الوقفة بمثابة استراحة؛ ليصف أرض الأغيار (شبرا) فيوقف سرد الحكاية لغرض الوصف فقط: " **خليط عجيب من الروائح والأصوات والمشاهد.. الرائحة الأولى والرئيسية هي العرق.. في هذه الرائحة ذابت روائح غريبة من المأكولات والوحل والفضلات البشرية وربما الدماء هناك عربات تكدست فوقها أطعمة.. خلائط من الأطعمة.. هناك كومة أرز وكومة من مادة عجينية بيضاء أعتقد أنهم يطلقون عليها اسم (كسكسي) وبرتقال ويوسفي ومشروبات ساخنة لا تعرف ما هي.. منذ زمن صار هناك باعة جائلون للخمور، ولكن أية خمر هذه؟.. زجاجة بحجم الكف ثمنها خمسون جنيه مع كل هذا التضخم !..لو كان هذا بولا لكان سعره أكثر من ذلك.. زجاجات عطر قديمة امتلأت بما لا يمكن معرفة كنهه..**

..الشطائر مشكلة أخرى...كومة من الشطائر.. شطيرة مليئة بما يزعمون أنه كبدة وثمنها

عشرون جنيها !..لو كانت هذه أكباد فئران لما أمكن بيعها بهذا السعر..".

وبعد استعراض تقنيات السرد الأربع والوقوف على أهم الأمثلة التي وردت في رواية "يوتوبيا"، والأثر الذي تركته هذه التقنيات في الرواية، وكيف أثرت في مدة الرواية، وأثرها في

زمـــن القصة والخطاب؛ ففي مواضع أطالت زمن الخطاب وجعلته بعيدا عن الزمن الـــــواقعي، وفـــي مواضع أخرى اختصرت وأوجزت.

المظهر الثالث: التواتر:

المظهر الأخير من مظاهر الزمن في الرواية هو: التواتر الذي لا يقل أهمية عن الترتيـــب الزمني والمدة (الديمومة)، فالتواتر قائم على تكرار الأحداث في الرواية؛ "حيث تتمثل هذه العلاقة فـــي تلك الظاهرة التي تربط بين تكرار الحدث أو الأحداث المنعقدة في الحكايـــة، وتكرارهـــــا فـــي الخطاب؛ إذ يكون للتكرار أوجه متعددة كونها تخضع لقواعد وأطر تنظمها"[1].

أو كما يسميه جيرار جنيت "معدل التردد: وهو كون الحدث يتجاوز إمكانية إنتاجـــه إلـــى تكـــراره مرات داخل العمل نفسه".

وقد وردت في رواية "يوتوبيا" العديد من حالات التواتر؛ ففي بداية الرواية يكرر الســـارد ردة فعل "جيرمينال" على قتل جنود المارينز لشخص من الأغيار: "**شهقت جيرمينـــال رعبـــاً، لكني لمحت في عينيها ذلك البريق بريق إثارة لا شك فيه**"، ويعيـــد نفـــــس الحـــــدث فـــــي الصفحة التي تليها: "**شهقت جيرمينال رعباً**. شهقت جيرمينال نشوة"؛ هنا يعبر السارد عن مـــدى الإثارة التي شعرت بها (جيرمينال) من مشهد القتل المرعب؛ فقتل رجل مـــن أرض الأغيـــار لا يشكل سوى مشهد مثير لدى شباب "يوتوبيا"، وفي هذا المقطع استخدم الســـارد الـــسرد المكـــرر فقام بسرد ما حدث مرة واحدة عدة مرات.

٣. **السرد المؤلـــف:** وهو أن يأتي السارد على حدث ما تكرر حدوثه في الرواية فيـــذكره مـــرة واحدة مع ذكر عدد مرات حدوثه، فلا يعود لذكره مرة أخرى؛ و"يتمثـــل فـــي أن يـــروى مـــرة واحدة ما حدث أكثر من مرة، وفي هذه العلاقة يتحمل مقطع نصي واحد تواجدات عديـــدة لنفس الحدث على مستوى الحكاية".

وقد استخدم السارد أيضا السرد المؤلف في روايته، عندما كان يتحدث الشاب اليوتـــــوبي عـــن صديقته التي أجرت عملية إسقاط للجنين: "بعد جراحة الكحـــت والتفريـــغ التـــي أجرتهـــا الأسبوع الماضي للمرة الثالثة على التوالي"؛ فصديقته كررت عملية الإجهاض ثـــلاث مـــــرات، ولكـــن السارد ذكرها مرة واحدة.

---

[1] ينظر: يوسف، آمنة، **السرد بين النظرية والتطبيق**، المؤسسة العربية للنشر، الأردن، ٢٠٠٥.

ويبرز السرد المؤلف أيضا في حديث جابر عن صديقه عبد الظاهر "عبد الظـــاهر كـــان هناك في محطة المترو يناقش خطة البايرول للمرة الألف؛ ففي كل مرة يلتقي جابر وأصـــــدقاؤه يعيـــد عليهم عبد الظاهر خطة سرقة (البايرول).

وفي نهاية الرواية عندما قرر أهالي شبرا الغضب لأجل مقتـــل جـــابر، فيـــذهب جنـــود (المـــارينز) إلى بيت (مراد) ويخبرونه أن الأغيار غاضبون فيقول الـــشاب اليوتـــوبي: "**ومـــــا الجديـــد إنهـــم يفعلون هذا مرتين في العام** "؛ و هذه الطريقة من السرد تختصر العديـــد مـــن الأحداث المصاحبة لتكرار الحدث في الرواية، ويكتفي السارد بالإشارة – عن طريق هذه التقنيـــة الســـردية– إلـــى تكرار الحدث غير مرة مسلطا الضوء على الحدث المهم لإتمام الفكـــرة التـــــ يريـــد إيصـــالها للمتلقي، دون الحاجة إلى حشو النص بتفاصيل صغيرة؛ وذلك لإبعاد الملل عـــن القارئ.

فالتواتر في الرواية بكافة أنواعه يؤدي دوراً مهماً في التأكيد على حدث معين، فهو يـــشبه الوقفة في وقف حركة السرد، من خلال تذكيره بالأحداث وتكرارها، وفي رواية "يوتوبيا" ظهـــر التواتر بأنواعه كافة؛ فأسهم في إثراء بنية الزمن في الرواية.

وبذلك نكون قد وقفنا عند أهم تجليات الزمن في رواية "يوتوبيا"؛ لنجد السارد قـــد أكثـــــر مـــن استخدام المفارقات الزمنية، فكان الاستذكار من أكثر المفارقات فـــي الروايـــة اســـتخداما، وكـــذلك وظف السارد الاستشراف والاستباق بما يخدم النص، وكان للاستذكار الحـــظ الأوفـــر منهـــا فـــي الاستخدام؛ وأما تقنيات السرد فأكثر من الحذف لتسريع الـــسرد؛ فكـــان اســـتخدامه للحذف أكثر من الخلاصة.

وبالنظر إلى تقنيات إبطاء السرد فقد كان للوقفة والمشهد حضور في الرواية؛ فتبـــين مـــن خـــلال الدراسة، أن هناك حوارات داخلية وخارجية، وتوقف السارد للوصف في مواضع عدة.

الخاتمة:

- جسد "أحمد خالد توفيق" في روايته "يوتوبيا" الصراع القائم بين المدينـــة الفاضـــلة ومدينـــة الأغيار، فالأولى غنية من الناحية المادية لكنها فقيرة من الناحية الأخلاقية، والثانية يـــسودها الفقر، والبؤس، والحرمان، وبما أن مدينة "يوتوبيا" تعيش حياة الرفاهية، وغارقة في ملـــذات الحياة، فهي تحتل المركز وينظر سكانها إلى أفراد مدينة الأغيـــار علـــى أنهـــم همجيـــين، وصفاتهم تقترب من صفات الحيوانات لذلك ما عليه سوى خدمـــة الأنـــا والخـــضوع إلـــى هيمنتها، وسيطرتها.

- سعى "أحمد خالد توفيق" في رواية "يوتوبيا" إلى الكشف عن مستقبل مصر من خلال رصد الهوة بين الأغنياء والفقراء، وعبّر عنها بطريقة خيالية، كما أن عنوان هذه الرواية كسر أفق انتظار القارئ، فعند قراءة العنوان لأول وهلة يتبادر إلى ذهن الملتقي أن الروائي يعبر عن المدينة الفاضلة ومميزاتها، لينصدم في الأخير بأن "يوتوبيا" مدينة فاسدة.
- جاءت البنية السردية في رواية يوتوبيا بشكل رائع وجديد فقد عرض الكاتب لبنية الزمان بشكل جيد من حيث تقنيات الزمن المختلفة الاستباق والاسترجاع.

آفاق بحثية مستقبلية:

- إجراء دراسة عن العجائبي في رواية يوتوبيا.
- إجراء دراسة عن العتبات النصية في رواية يوتوبيا.
- إجراء دراسة عن الأسباب السردية التي تربط الشباب بروايات أحمد خالد توفيق.

المصادر والمراجع:

توفيق، أحمد خالد، **يوتوبيا**، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٢٠.

جمعة، منصور، **زمنية جيرار جينيت**، دار العلم للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠٠٧.

رشدان، محمد، **المكان في الرواية العربية**، دار الفاروق، الدوحة، ٢٠١٤.

أبو السعود، عطيات، **اليوتوبيا**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٧.

شاهين، أسماء، **جماليات المكان في الرواية العربية**، دار فارس، عمان، ٢٠٠١.

عبد السلام، محمد، **البنية السردية للرواية العربية: دراسة نظرية وتطبيقية**، دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٢٢.

فتاح، علي عبد الرحمن، تقنيات بناء الشخصية في رواية ثرثرة فوق النيل، **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، العراق، العدد (١٠٢)، ٢٠١٢.

فهمي، أحمد، **تقنيات السرد الروائي**، دار ابن رشد، الكويت، ٢٠١٧.

الكعبي، أحمد صبيح، المكان المتحرك في الرواية العربية، **مجلة جامعة ديالي**، العدد (٦)، ٢٠١٨.

وافي علي، آراء **أهل المدينة الفاضلة**، در ابن خلدون، بغداد، ١٩٩٩.

يمني، قرفي، **لعبة الضمائر والسرد**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢.

يوسف، آمنة، **السرد بين النظرية والتطبيق**، المؤسسة العربية للنشر، الأردن، ٢٠٠٥.